http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1585) السنة السابعة - الاربعاء (19) آب 2009

في رحيل صلاح حزّين

كلمة في الغياب

د. خالد السلطاني
معمار وأكاديمي

لا اعتقد إن تغييب الموت لصلاح حزّين، يمكن ان يلغي حضوره البهيّ في الخطاب الثقافي، الخطاب الذي طالما اثراه بمنجزه الابداعي متنوع الاجناس على مدى سنين عديدة. ومنجز صلاح الثقافي: منجز حقيقي، انه مهم مثلما هو مفيد. وآمل بان أصدقاءه ومحبيه، سيجمعون ارثه الكتابي المنشور (وغير المنشور) في كتاب او في كتب، حتى يدوم حضوره المميز بيننا تعويضاً عن ذلك الغياب.
عرفت صلاحا منذ منتصف التسعينيات، غداة وصولي الى الاردن، والعمل في احدى جامعاتها. واذكر انه مع اثنين من المثقفين الاردنيين وبتوصية من احد الاصدقاء المشتركين، لبوا دعوتي للتعارف وزاروني في بيتي بحي المدينة الرياضية. كان صلاح احدهم والاثنان هما: سلطان الحطاب وحازم مبيضين، الصديقان الاردنيان اللذان مابرحت اكن لهما احتراما عميقا، معتزا بصداقتهما والتواصل معهما، مقدرا شعور التعاضد المخلص الذي أبدياه تجاهي عندما كنت امّر باوقات عصيبة، بعيدا عن بلدي.

ومنذ ذلك الحين توطدت معرفتي بصلاح واهتمامي بمنجزه الثقافي. حينما كنت ازوره في بيته بـ "جبيهة" ، كان مكتبه الواقع في قبو المنزل، المزدحم عادة برفوف مليئة باوراق وكتب ومجلات وصحف، المكان الاثير لديه، الذي فيه يحرر مقالاته، ويكتب بحوثه ودراساته المتسمة دوما بالجدة والذكاء والمتعة؛ وفيه ايضاً يستقبل اصدقاءه ومعارفه. كنت اعجب لمجال اهتماماته العريض الذي يتحرك ضمنه. فصلاح المعروف اساسا بدراساته في المجال الثقافي، الادبي تحديدا، ومتابعاته النقدية الجادة له، كان هو ايضاً وقتها، محررا للشؤون الاقتصادية والمالية في جريدة "الحياة" اللندنية؛ وهو بالتالي كان يرقب السوق الاردنية وتقلباتها، معلنا عن تنبؤاته في اتجاهات وسير هذا السوق، ما جعل من مقالاته وتحليلاته محط عناية كثر متابعين لهذا الشأن.

ما يدهش في صلاح ايضاً، هو مقدار معرفته الدقيقة والشاملة والعميقة للنواحي الثقافية والاقتصادية والسياسية لما يجري في الاردن وخارج الاردن، وخصوصا خارجه، اذ كان ضليعا في الشأن اللبناني ، مثلما هو الشأن الخاص بسوريا، التي سبق وان اكمل فيها دراسته الاكاديمية بجامعة دمشق. وكان متابعا نشطا وجادا للحدث المصري والجزائري والمغربي. لكنه، بالطبع، كان يولي اهتماما خاصا لكل ما يجري في فلسطين- وطنه النازح منه، هو المولود في "عين كارم" ، الذي كتب عنها <شهادة> مؤثرة، امتزج فيها الذاتي مع العام، الهموم الشخصية العائلية مع قضايا الوطن ومصائره امتزاجاً افضى لان تكون <شهادته> تلك من عيون ما كتب في محنة "وطن" الذي ظل حاضرا دوما في ذاكرة كثر، كوطن سُلب من اهله بخسة ودناءة امام انظار الجميع.

لكن ما يلفت ايضاً في متابعات صلاح اهتماماته الواسعة والدقيقة جدا فيما يخص العراق. لقد كانت معلوماته المتشعبة والشاملة عن وطني، تفوق احيانا عن ما يعرفه كثر من العراقيين عن بلادهم. ما حدا بصديقي الكاتب والصحفي جلال الماشطة ان يطرح عليه سؤلا عفويا: لماذا؟ ، لماذا كل هذا الاهتمام، لماذا هذا التوق لمعرفة الاحداث وتفاصيلها؟. وكان ذلك ايضاً، مثار اعجاب اضافي لشخصية هذا الرجل الطيب، المثقف، متنوع المعارف والاهتمامات، التواق لمعرفة الآخر والقادر على الاصغاء اليه والتعلم منه.

لقد فقدنا بوفاة صلاح حزين انسانا مثقفا عالي جناب؛ لكن ذكراه ستظل حاضرة دوما في قلوب وذاكرة اصدقائه ومعارفه.

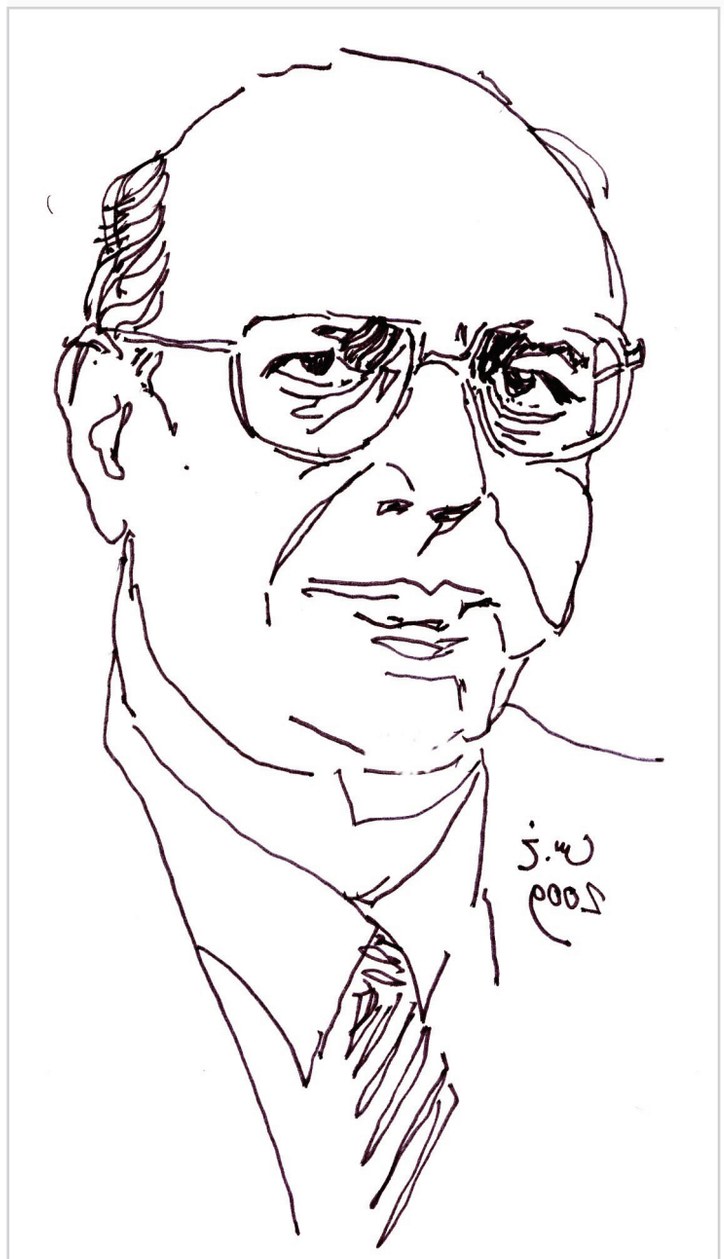

حزيّن.. بريشة خالد السلطاني

فسحة التنوير ضاقت بعدك

علي عبد الامير عجام×

الى صلاح حزيّن

مثلما انفتح قلب عمّان لاوجاعي وغربتي وهواجسي ومخاوفي وصارت محطة لآمالي، انفتح قلبك الرحيم لاغنيتي ونبرة الوجع في نصوصي، وكنت ذراعا ساندة لي، مثلما كان قبل ذلك الصديق الكريم حازم مبيضين الذي قادني الى رفقتك وصداقتك، فنهلت منهما معرفة وتنويرا وحسا انسانيا يبدأ من الاتصال المباشر القائم على التضامن مع ضحايا التعسف والقمع وصولا الى اصالة وجدية في العمل الادبي والصحافي راقتا لي كثيرا، فهما قدمتا سيرة جدية بالاقتداء، انعكست في اتصالي بعمق وشفافية مع المشهد الثقافي الاردني طوال عقد هو عمر اقامتي في "مدينة الحجر الوردي".

حزيّن كان يفرح لنصوصي الشعرية، مثلما كان يبتهج ويؤازر ما كنت مندرجا في متابعته: الحياة الثقافية الاردنية من بوابة الموسيقى، عبر متابعاتي النقدية شبه اليومية لظواهر في الموسيقى الاردنية والعربية والغربية من خلال عملي في صحيفة "الرأي" (١٩٩٦-٢٠٠٢) الذي بدأ مع الزميل والصديق باسل رفايعة، وازدهى وتعمق مع الزميل والصديق موسى برهومة، وامتد عملا مثابرا في غير قليل من الصحف والمطبوعات الدورية الثقافية الاردنية والعربية، كان بينها عملي مراسلا لصحيفة "الحياة" اللندنية للشؤون العراقية من عمان وطوال نحو خمس سنوات.

ومثلما انفتح بيته لعشرات الادباء والكتاب العراقيين المهاجرين، كانت لي اكثر من زيارة الى ذلك البيت الجدير بتسمية "بيت المعرفة" والذي منه سيخرج مشروع مثقف وصحافي لافت هو غسان حزين الذي أوجع قلب والده كثيرا بغيبوبته (اثر حادث سيارة) وجاءت معادلا موضوعيا لغيبوبة فكر التنوير في حياتنا الثقافية العربية.

من افتقد بغياب صلاح حزين؟ أأفتقد القلب الرحيم؟ ام ثقافته العميقة القائمة على تنوع فذ يمتد من الترجمة الى الكتابة النقدية مرورا بنهج صحافي يجمع الصرامة المهنية وحلاوة الاسلوب وفرادته؟ أأفتقد فيه قوة البصيرة التي كانت تمده بقدرة لافتة على تمييز الغث من السمين؟ أأفتقد فيه خفة الظل وتعليقات مستمدة من طرافة "الكوميديا السوداء"، أأفتقد فيه العلو والكبر على الاساءات والنسيان المتعمد لجهده وحضوره؟ أأفتقد فيه صدق انتمائه الاردني لجهة الاخلاص للمكان وانسانه معرفة وثقافة وتطلعا نحو مستقبل حر وآمن؟ أم أفتقد فيه "فلسطينيته" التي لم تكن غير فكرة حرية مطلقة لم تتسع لها أطر فكرية ولا مناهج محددة، بل كانت رؤية مطلقة للامل والصدق؟

أأفتقد فيه من علمنا اول درس في الاتصال الانساني حين عرفنا عبر عمله الشائق في مجلة " العربي" الكويتية بعشرات الامكنة والمدن والبيئات من كل بقاع المعمورة عبر "استطلاعات" كانت درسا في فنون التحقيق الصحافي؟ أم افتقد فيه قوة الفكرة النقدية القائمة على تأصيل الحداثة الفكرية وفق ملامح الوعي الاجتماعي العربي، أم براعته مترجما لرواية "قلب الظلام" ام للرواية المتمردة "انهم يقتلون الجياد.. اليس كذلك" التي صارت فيلما تحول ايقونة في السينما الاميركية والعالمية صاغها المخرج الراحل سيدني بولاك؟

كل ذلك افتقده مع غياب قلبك الرحيم يا ابا قصي، مثلما افتقد حاجتي لعمان بوصفها قلبا رحيما بغربتي ومخاوفي وقلقي ومشاعري كمنفي أبدي، ومثلما اتحسس ضيقا في فسحة التنوير وسط مشهدنا الثقافي العربي، اقول بلا تردد ان تلك الفسحة صارت اضيق بغيابك.

شاعر وناقد واعلامي مقيم في اميركا×
aliabdulameer@hotmail.com

غالب الشابندر في نادي الشعر

مقاربات في الصورة الشعرية

محمود النمر

ضمن نشاطاته الاسبوعية الثقافية، ضيف نادي الشعر في اتحاد الادباء والكتاب العراقيين في قاعة الجواهري المفكر المغترب غالب الشابندر بمحاضرته الموسومة - مقاربات في الصورة الشعرية، وقدم الجلسة الناقد مزاحم حسين قائلا: نضيف اليوم مفكرا عراقيا نذر فكره في الجهات الاربع الاوهو غالب حسن الشابندر، كذلك رحب ياسر السعيدي رئيس نادي الشعر بالقادم من بلاد الغربة مستهلا بكلمته ان نادي الشعر سيكتب بسيرته الذاتية انه ضيف ذات يوم قامة كبيرة اسمها غالب الشابندروكما يقول -صموئيل بيكت -ان الضوء الساطع ليس ضروريا، وكل ما يحتاجه الانسان هو فتيل شمعة اذا احترق باخلاص- فليتقبل الاستاذ فتيل شمعتنا.

وقال الشابندر في محاضرته :اتكلم عن بعض المقتربات في الصورة الشعرية،نابعة من تجربة قراءة وليس من تجربة بحث وتقص،ولذلك قد تكون انطباعات اقرب من ان تكون علما،بل لعل ذلك ينجم عن تصوري عن معنى العلم ،وينجم عن تصوري عن معنى الفن، خصوصا بعد هذه الانقلابات الهائلة التي حدثت في منطقة المصطلحات العلمية ،فلم تكن غريزة بذلك المعنى الذي نسمعه ونقرأه قبل خمسين سنة،ولم يكن بالامكان ان نجعل او نكتفي بما يسمى بالنموذج -الارشادي-هذه النظرية التي لها الحق ان تسود في المجال العلمي ،ولكن ليس لها الحق ان تسود في المجال معنى الضرورة هو ذلك المعنى التي درجت عليه الدراسات الفلسفية منذ -ارسطو- لحد الان ،هذا التهيب في اطلاق المصطلح يشجعني ان اتكلم بلغة المقتربات وليس بلغة القوانين والقواعد، خصوصا في صعيد ينتمي الى الاجتماع اكثر مما ينتمي الى المادة الجامدة،ان من اخطر ما تعرض له النقد ان نجعل او نكتفي بما يسمى بالنموذج -الارشادي-هذه النظرية التي لها الحق ان تسود في المجال العلمي ،ولكن ليس لها الحق ان تسود في المجال الادبي والفني،طرحت نظرية -النموذج الارشادي- في تاريخ، اوفي علم تاريخ العلم،لبيان اولكشف مسار التطور العلمي ،فاي نظرية تنبثق وتمتلك القدرة على حل بعض الغاز الكون ،وحل بعض الغاز الطبيعة ،تمتلك سيادة لفترة طويلة على العلم نفسه،وتكون كل نظرية علمية، تأتي فيما بعد اذا لم تستند الى هذا النموذج الارشادي واذا لم تستند مشروعيتها من هذا النموذج الارشادي تعتبر نظرية كسيحه او باطلة ،جاءت نظرية نسبية -لانشتاين- فاصبحت هي المصباح وهي الضوء لكل ما يختر ولكل ما يسطر في نظريات علمية في مجال الفيزياء،واي نظرية فيزيائية او تتناقض او تتجافى او لاتلتئم مع النظرية النسبية -لانشتاين- يشطب عليها،فاصبحت النظرية الانشتاينية هي مركز ارشادي، هي عبارة عن نموذج ارشادي، هي مقياس وتستمر الى عشرين سنة الى ثلاثين سنة الى اربعين سنة الى مئة سنة ،الى ان تأتي نظرية جريئة، تخترق هذا النموذج الارشادي.

أقامها منتدى الجامعيين العراقيين الأستراليين

أمسية تكريمية للعالم العراقي الكبير عبد الجبار عبد الله

عبد الخالق كيطان
سيدني

قاعة الاحتفالات في مدينة ليفربول اكتظت بحضور عراقي غير معهود في سيدني تلبية لدعوة منتدى الجامعيين العراقيين الأستراليين تكريما لشخصية عراقية فذة وعالمة هي شخصية الراحل عبد الجبار عبدالله. هنا اختلطت الهويات العراقية الأخاذة، حيث ترى جموع المنذائيين جنبا إلى جنب مع أخوتهم المسيحيين والمسلمين، الأكراد والعرب والتركمان في أمسية تقصدت استعادة شخصية زاملت أبرز علماء الأرض الفرد أنشتاين..

جمهور قال عنه القاص حسن ناصر مسؤول النشاط الثقافي للجمعية أنه يحضر عادة أمسيات من هذا النوع، وعندما سألناه عن النوع الذي يقصده قال أنها الأمسيات التي تحتفي برمز من الرموز الوطنية العراقية.. وإذ كان الحضور الرسمي ممثلاً بالسفير العراقي ومندوب رئيس الطائفة المندائية وبعض ممثلي الأحزاب العراقية في أستراليا بارزاً فإن حضور النخب العراقية في سيدني كان هو أكثر ما يلفت الانتباه هنا.

بدأ الجراح الدكتور أحمد الربيعي رئيس منتدى الجامعيين الأمسية بحديث شيق ومرتجل عن سيرة الراحل وكان بادياً على الرجل تأثره بالمنجزات الانسانية والعلمية التي حفلت بها سيرة المحتفى به وهو يتلوها على الجمهور، ثم تبعه رئيس اللجنة الأكاديمية في المنتدى الدكتور زهير جميل بشهادة عن الراحل، وألقت الأديبة سحر كاشف الغطاء كلمة بالمناسبة، أما الدكتور طه ناجي، من معاصري الراحل وهو أستاذ جامعي فاستذكر الأيام التي تأسست فيها جامعة بغداد على يدي عبد الله، كما قرأت رسالة العالم العراقي عبد العظيم السبتي رئيس قسم الفلك في جامعة لندن والتي يشيد فيها برعاية الحكومة العراقية اليوم بتراث وأسم الراحل الكبير، حيث قرر رئيس الوزراء تكريم العالم. وبعد ذلك عرض فيلم وثائقي عن المحتفى به أعده الفنان خليل ابراهيم الذي شرح بكلمات مقتضبة معاناته من أجل اخراج الفيلم إلى النور بعد أن لاقى الكثير من العنت والمنع من قبل أزلام الديكتاتورية وهو يحاول توثيق سيرة عالم عراقي شهير.. الفيلم الذي عرض كان يحتوي الكثير من المعلومات المهمة عن حياة ومنجزات الراحل ولأن الفيلم أنجز في زمن الديكتاتورية فإنه لم يتعرض إلى المضايقات التي تعرض لها الراحل ولا إلى سجنه وتعذيبه على يد عصابات حزب البعث في العام ١٩٦٣ ما أدى بالتالي إلى إصابته بسرطان الدم ووفاته في الولايات المتحدة الأمريكية.. وعودة إلى القاص حسن ناصر الذي قال أن المنتدى يحتفي بالعالم العراقي لأثره التربوي وإسهامه الأساس في تأسيس جامعة بغداد وعدد من الكليات، وكذلك، والحديث لناصر، لرفع الخرافات التي أحيطت بشخصيته وإظهارها بوجهتها الواقعية ما يمكننا من فحص منجزه العلمي وبالتالي الاحتفاء بهذا المنجز الذي شهد له أبرز علماء العصر..

وفي سيرة الراحل نقرأ:

ولد عبد الجبار عبد الله في قلعة صالح ضمن محافظة العمارة عام ١٩١١ لعائلة من طائفة الصابئة المندائية ووالدته السيدة (نوفة) هي شقيقة التربوي والسياسي المعروف غضبان الرومي، كما أنه يتحدر أصلاً من عائلة عرفت برئاستها للطائفة على مدى زمن طويل.. وبالرغم من المكانة الاجتماعية والدينية لعائلته إلا أنه عاش طفولة فقيرة في بيئة جلها من الفقراء ثم انتقل إلى بغداد لأكمال دراسته الثانوية بعد أن أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة في القلعة والعمارة. أظهر عبد الجبار عبد الله براعة في الموروث، وخاصة المندائي حيث كان يكتب المقال كما كان شغوفاً بالشعر، خاصة الجاهلي، بل أنه كان يكتب أحياناً في ذلك، كما أنه قرأ الفلسفة والتاريخ بالاضافة إلى دراسته علوم الفيزياء.. في العام ١٩٣٠ أكمل دراسته الاعدادية في بغداد ليلتحق بالجامعة الأمريكية في بيروت وينال عام ١٩٣٤ شهادة البكالوريوس.. ثم حصل بفترة قياسية بلغت العام والنصف على شهادة الدكتوراه في العلوم الطبيعية (الفيزياء) من معهد مساتشوست للتكنلوجيا في الولايات المتحدة والتي تعد أرقى جامعة علمية في العالم على الاطلاق.. عين أستاذاً ورئيساً لقسم الفيزياء في دار المعلمين العالية في بغداد من سنة ١٩٤٩ إلى ١٩٥٨ ، وفي خلال هذه الفترة رشح أستاذاً باحثاً في جامعة نيويورك الأمريكية بين سنتي: ١٩٥٢ و ١٩٥٥ . وفي العام ١٩٥٨ عين أميناً عاماً لجامعة بغداد ووكيلاً لرئيس الجامعة واستمر في هذين المنصبين حتى عام ١٩٥٩.. عندما عين رئيساً لجامعة بغداد.. لقد أصر الزعيم عبد الكريم قاسم على أن يتولى عبد الجبار عبد الله رئاسة جامعة بغداد بالرغم من معارضة بعض أركان قيادة مجلس الوزراء أنذاك، وهي معارضة تستند لكون الرجل غير مسلم، وقدموا بالفعل مرشحاً مسلماً للمنصب الكبير ولكن الزعيم أصر على أن يكون رئيس الجامعة هو عبد الجبار عبدالله لما لمسه فيه من مكانة علمية مرموقة عالمياً ولأنه العالم الذي قدر له أن يحل الكثير من المسائل الرياضية المعقدة.. .. وتذكر المصادر أن الخلاف بين قاسم ومناوئي تعيين الدكتور عبد الله بمنصبه قد استمرت لشهور وفي احد الاجتماعات لمجلس الوزراء طلب الزعيم بفتح ملف رئيس جامعة بغداد ، ولكن رئيس مجلس السيادة نجيب الربيعي ادعى بعدم وجود الملف معه فقال الزعيم في الاجتماع: انني وبحكم كوني القائد العام للقوات الوطنية المسلحة سوف أقوم بحل مجلس السيادة وتشكيل غيره لأن الكثير من الأمور تتعرقل، وعندها أبرز الربيعي الملف ووقع الجميع عليه موافقين على ترؤس الدكتور عبد الجبار عبد الله جامعة بغداد...

وللدكتور الراحل العديد من البحوث العلمية التي نشرت في أرقى المجلات العلمية الأمريكية والأوروبية، وهو عضو في العديد من الجمعيات العلمية العالمية.. ولقد استمر في منصب رئيس جامعة بغداد حتى قيام انقلاب عام ١٩٦٣ حيث أعتقل وعومل معاملة مهينة عند اعتقاله...

ومن القصص التي تروى عن الراحل قصة اعتقاله كما رواها شاهد عيان، يقول في شهادته: حدثني أستاذي في الرياضيات الأستاذ الفاضل طالب محمود علي (وهو خريج جامعة لندن بمرتبة الشرف في الرياضيات) وكان الأستاذ طالب أحد الذين اعتقلوا في انقلاب ٨ شباط وقد حشر في احدى الزنزانات الصغيرة المليئة بالمعتقلين من شتى المستويات.. قال عرفت الدكتور عبد الجبار عبد الله كأحد المعتقلين في هذه الزنزانة وكنا في الزنزانة واحدا بجانب الآخر وظهورنا مستندة إلى الحائط وبهذه الوضعية كنا ننام ولا مجال للحركة فيها نهائياً... يقول الأستاذ طالب: كنت لا أستطيع أن أرفع عيني في مواجهة عين الدكتور عبد الجبار لما له من مكانة علمية وشهرة عالمية وكنت أختلس النظرات وأشاهده يغوص في تفكير عميق ثم تنهمر الدموع من عينيه وفي أحد الأيام استثمرت فترة اخراجنا لدورة المياه وجلست بجانبه وبعد أن ألقيت عليه التحية وعرفته بنفسي وأنا خجل سالته عن سبب انهمار الدموع من عينيه فقال: كان في قسم الفيزياء الذي أدرس فيه طالب فاشل حاولت عدة مرات مساعدته لكي يعدل من مستواه ولم يتعدل ومع ذلك عاونته.. وفي يوم ١٤ رمضان جاءت مجموعة من الحرس القومي لاعتقالي من بيتي وميزت بينهم طالبي الفاشل بسهولة وطلبت منهم أمهالي عدة دقائق لكي أبدل ملابسي وأذهب معهم وأنا أعرف أنه ليس لدي ما أحاسب عليه.. أبدلت ملابسي وخرجت لهم وفجأة ضربني تلميذي (راشدي) قوياً أفقدني توازني وكدت أسقط على الأرض وقد استخدم معي عبارة (أطلع دماغ سز) ولم يكتف تلميذي وأنما مد يده بجيب سترتي وأخذ مني قلم الحبر الذي أعتز به ولم يفارقني أبداً، هذا القلم الحبر من الياقوت الأحمر كان هدية العلامة المشهور البرت انشتاين، وأستخدمه لتوقيع شهادات الدكتوراه فقط وهذا هو سبب حزني وانهمار دموعي كلما تذكرت الحادث...

أمضى الدكتور عبد الجبار عبد الله فترة طويلة في مستشفيات الولايات المتحدة بعد خروجه من السجن وحصوله على دعوة من أمريكا، وكان يمني النفس بالعودة إلى بلاده، ولقد أظهر فيلم الأمسية بعض الوثائق التي تدلل على ذلك ومن ضمنها رسالة إلى أحد أصدقائه يوصيه بها بحديقة منزله في بغداد.. ولكن الدكتور عاد إلى أرض الوطن حقيقة بعد أن فارقت روحه جسده ليدفن في بغداد تنفيذاً لوصيته..

اوراق

مكتبة " التكرلي "

محمود عبد الوهاب

لا أتذكر أين قرأتُ هذا الحوار ، كما لا أتذكر من هما طرفاه المتحاوران ، أغلب ظنّي أن أحد الطرفين كان صحافياً والآخر كاتباً أو معرفيّاً . سأل الصحافي ذلك الكاتب ، وكان محاطاً بخزانات مكتبته المكتظة بالمجلدات : هل قرأتَ كلّ هذه الكتب ، سيدي ؟ . أجاب الكاتب : لا ، ولكنني مثل أيّ طباخ ماهر أذوق من كلّ هذه القدور الكثيرة قليلاً من طعام كلّ قِدْر .

ينقلني هذا الحوار الطريف بالغ الدلالة الى مكتباتنا الخاصة ، فلكل منا مكتبته التي يعتزّ بها ، يلجأ اليها استزادةً لمعرفة أو طلباً لمعلومة أو وصولاً الى حقيقة ما في حالة من حالات الشك والالتباس ، فالمكتبة الزاد الروحي ، والمكان الجليل ، ووسيلة التنوير والتثقيف والتأثير " والذين يأمرون بإحراق الكتب يدركون جيداً أيّ تأثير لها " في وعي الناس ومدركات واقعهم .

تنمو المكتبة الخاصة وتتسع كلّما كان استقرار صاحبها مكيناً ، وتقف عن نموها وتهزل كلّما اهتزّ ذلك الاستقرار وضعف ، حالها حال المدن ، فالمدينة تنهض بالاستقرار وتُنتهك بالأزمات .

توقفت مكتبة الروائي الراحل فؤاد التكرلي عن النمو مرتين ، الأولى في تسعينيات القرن الماضي حينما ترك التكرلي بغداد وأقام في تونس ، والثانية في مطلع القرن الحالي ، حينما ترك تونس وأقام في عمّان حتى رحيله .

وهو في تونس كنتُ أراسله على هذا العنوان : الأستاذ فؤاد التكرلي . إقامة الزنابق . بلوك ب . شقة ٦٣ / المنزه السادس .

تميزت رسائل التكرلي بتقاليدها الخاصة : في أعلى الرسالة تاريخ الإرسال ، ثم المخاطبة الحميمة : أخي العزيز ، ثم التحية بالصيغة الثابتة : تحية المودة الدائمة ، وتُقفل رسائله بـ (واسلم مع المحبة) ، ثم يأتي اسمه مجرداً : فؤاد التكرلي . الرسائل رقيقة وحيية وكثيرة الاعتذار ، ملأى بالتحيات الى الأصدقاء .

في أواسط آذار عام ٢٠٠٣ جاء فؤاد التكرلي الى بغداد قادماً من تونس لتصفية بعض شؤونه المعلّقة بعد أن عزم على الإقامة في عمّان نهائياً ، وكانت مكتبته الخاصة ، أحد تلك الشؤون ، وقد أودعها لدى الروائي الراحل مهدي عيسى الصقر منذ أنْ سافر فؤاد الى تونس ، وأقام هناك .

لم أكن أعرف أن مكتبة التكرلي مودعة في بيت مهدي الصقر الا في إحدى الجلسات التي ضمتنا ثلاثتنا في آذار ٢٠٠٣ ، وكانت تلك مفاجأة لي ، فلم أسمع من مهدي ما يشير الى المكتبة على الرغم من علاقتنا المتينة ، فقد كان مهدي ، يخشى لو أخبرني بها أنْ أطمح الى الاستعارة منها وهذا ما يُحرجه في انتهاك أمانته لمكتبة فؤاد وصعوبة الاعتذار مني.

في تلك الجلسة اتفقنا، فؤاد ومهدي وأنا ، على أن يكون يوم غد موعداً لتهيئة المكتبة وتصفيتها للبيع . وكان فؤاد يردّد : ما الفائدة أن تكون المكتبة في بلد وصاحبها في بلد آخر ؟!

في اليوم التالي بدأنا العمل ، كانت المكتبة في الطابق الثاني من بيت مهدي ، وحينما دخلنا غرفة المكتبة وقف فؤاد صامتاً لحظات أمام خزانة الكتب والصناديق والأكياس المعبّأة بالمجلات والصحف والكراريس . كنت أحسّ معاناة فؤاد، فليس هيّناً على مبدع كبير مثل فؤاد أن يفرّط بمكتبته التي رافقته في سيرة حياته الفكرية والإبداعية منذ بدايات تكوينه الثقافي .

كانت الخزانة مكتظّة بالكتب العربية والانكليزية والفرنسية . كنا مهدي وأنا نواصل تمزيق الصفحات الأولى من الكتب التي تحمل اسم فؤاد . التقط فؤاد كتاب غايتان بيكون (آفاق الفكر المعاصر) . قال : اشتريته من سوق السراي في صيف حار جداً ربما في عام ١٩٧٠ أو حوالي ذلك ، ثم تناول كتاباً آخر وبدأ يقرأ مقطعاً منه بصوت عالٍ .

كان فؤاد ،على غير عادته، لا يكفّ عن الكلام كأنهُ يفعل ذلك درءاً لحالته النفسية . قال : معظم هذه الكتب اشتريتها من مكتبة النهضة والمثنى ومكتبات السراي ومكتبة (ماكنزي) في شارع الرشيد .

بعد ثلاث ساعات هيّأنا المكتبة، ووضعنا الكتب في إحدى زاويا الغرفة . وأنا أنزل السلّم الضيّق ، فؤاد ومهدي أمامي ، استرجعت ذلك الحوار بين الصحافي والكاتب ، لقد ذاق فؤاد من كلّ تلك القدور الكثيرة قليلاً من طعامها وهيّأ لنا جميعاً طعاماً شهياً سيبقى مذاقه أبداً ، وإنْ رحل طبّاخه الماهر .